

## قراءة فاحصة في نقد ترجمة المصطلح اللغوي \*

عمار ساسي

مخبر اللغة العربية آدابها - الصوتيات -

جامعة سعد دحلب - البليدة -

dr.saciamar@yahoo.fr

### الملخص:

حين نحكم على ترجمة ما بجودة أو بفساد أو اضطراب أو نقص أو قصور، فإننا نعلن في الوقت نفسه على ميلاد فن نقد الترجمة، شئنا أم أبينا. فلم يكن ميلاد نقد إلا على فساد فعل أو جودته. والنقد فعل واصف وكاشف. واصف لذات النص، وكاشف لسمات الجودة ومظاهر الرداءة والفساد فيه. وبقدر ما هو كذلك، فهو فعل علمي متطور يتجه بالفاعل إلى مزيد من الإحكام والإتقان في صناعة الفن عامة والترجمة خاصة، وغيرها من الصناعات اللغوية والأدبية والعلمية. ونبؤه بمدى نسبية الفعل الترجمي في الماضي لمحدودية صفات المترجم، ولغياب شروط فعل الترجمة الجديدة التي فرضتها حركية التطور التكنولوجي والتقدم العلمي والمعرفي...

فبالأمس كان النص، واليوم ظهر نقد النص، وغدا نقد نقد النص، وهكذا. وهذه حركة طبيعية تطورية تسير بالفعل إلى الأجدود والأحسن والأثقل. وفي هذا السياق تجتهد الورقة في بلورة قراءة لغوية في نقد ترجمة المصطلح اللغوي، تشمل عنصرين أساسيين، الأول نظري يفرز رؤية في نقد ترجمة المصطلح اللغوي، آليات وقواعد. والثاني تطبيقي، يجتهد في وضع مجموعة مصطلحات في ميزان نقد ترجمتها وصفا وتحليلا. وفي الخاتمة: نرصد النتائج ونبدي الرأي. وبالله التوفيق.

**الكلمات المفتاحية:** القرآن الكريم؛ نقد الترجمة؛ نقد الأدب؛ المصطلح اللغوي؛ النص؛ التناص؛ اللسان.

## مقدمة:

إن فعل الترجمة ليس مسألة هينة تتم بالاعتباط والعشوائية، بل هو بناء ضخم ومجهود مثير وثقافة وكفاءة وعبقرية ومسؤولية نحو الفرد والجماعة... لذا وجب الحزم في انتقاء الفرد المترجم بالمعايير الدقيقة دون أدنى تسامح، خصوصا وأننا نعيش ظروفًا مع أفرادٍ نصبوا أنفسهم مترجمين وهم لا يتقنون سوى بضع مفردات من لغة أجنبية من دون امتلاك لأدنى كفاءة مؤهلة...<sup>1</sup>

كما أن فعل الترجمة ينبغي أن يستهدف أساسا النقل من اللغة أو اللغات الأجنبية إلى لغة المترجم، بل منهم من يعتبر أن هذا النوع من العمل الترجمي هو الوحيد الذي يستحق أن يوصف بأنه ترجمة، وأن النقل من اللغة الأم إلى اللغة الأجنبية ليس إلا عملية تقليد... وأن المترجم إنما يتأتى له الإبداع حين يعبر بلغته الأم عما فهمه من خطاب في اللغة المنقولة.<sup>2</sup>

وفي البداية يحسن عرض الأسئلة التالية:

- ماذا يراد بالترجمة ؟
- ماذا نريد بالفعل الترجمي ؟
- من هو المترجم ؟
- ماذا نريد بفن نقد الترجمة ؟
- هل يلتقي نقد الترجمة ونقد الأدب ونقد اللغة، كون النص جامعا بينهما ؟
- ما مواصفات كل منهما ؟ وأين يفترقان ؟ وأين يلتقيان ؟
- هل تصحيح الترجمة هو نقدها ؟
- هل يشترط النقد عصره ؟
- هل الترجمة موسومة بالثبات، أم مكتوبة في خط التحول والتطور، أم جامعة لهما ؟
- من يترجم ؟
- هل ترجمة اليمين هي بالضرورة ترجمة اليسار ؟
- ما هو النقد ؟
- من هو الناقد، وما مواصفاته ؟

- ما هي شروط الترجمة ونقدها بالمنظور الحديث ؟
- ماذا يلزم في نقد الترجمة ؟
- ما هي أسباب النقد ؟ وما هي كفيته ؟ وما هي غاياته ؟
- هل تتداخل الفنون في فعل نقد الترجمة ؟
- من هو المترجم الناقد ؟
- هل يصلح في ترجمة القرآن نقد الترجمة ؟

وإن تعددت التعاريف الواصفة للترجمة، وإن أظهرت على تعددها تقاطعات وتلاقي في كونها عملية نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف، إلا أن في ذات التعريف ملاحظات تلزم تعميق التأمل وتدقيق حساب التعريف ليكون جامعاً ومانعاً في آن واحد ويكون أحق بصفة العلمية، لذا وجب النظر في التسأل التالي:

من أين جاء مصطلح الترجمة ؟ هل الترجمة عملية أم فعل ذهني ؟ ماذا يراد بكلمة (نقل) ؟ أليس النقل فعل استقبال وإرسال واستقبال ؟

إن فعل الترجمة في حقيقته ينطلق من فعل استقبال، وإرسال، فاستقبال، أي من نص مرسل فمستقبل. أما النص لغير المترجم فيحدد في إرسال، فاستقبال، أي نص زائد ترجمة. أما النص للمترجم ذاته فيتحدد في مرسل ومرسل إليه.

هل يكون النص أو الخطاب من لغة إلى لغة، أم من لسان إلى لسان، أم من لسان إلى لغة، أم من لغة إلى لسان ؟ وما المقصود بالنص المنقول من لغة إلى لغة، هل يخص معناه ومبناه أم معناه دون مبناه ؟

**من هو المترجم ؟**

لعله سؤال تليد ومأكول ومهضوم ومبذول ومملول، ولم يعد يثير ولا ينتظر منه جلب إضافة عما بحث ودرس ونوقش. والحق أنه ما يزال يحتاج في تحديده إلى شيء من الضبط والبيان، وإلا لماذا أثرنا اليوم مصطلح نقد الترجمة الذي يجرب بالتبع إلى مصطلح نقد المترجم - بكسر الجيم -، الذي يعكس لا محالة النقص فيهما معا من دون شك، وهو أمر معقول - برأينا-، مما يتطلب البحث فيه من جديد بجد.

لقد فرض التطور التكنولوجي والعلمي والفكري راهنا موسوما بكشوفات علمية وحقائق معرفية في شتى الفنون والمعارف والتخصصات، مما أبان في جهد السابق بعضا من القصور وشيئا من النقص وقسطا من السطحية ونسبة من العدائية الفكرية المفرطة والتحامل الديني المكشوف، كل ذلك دفع إلى تفجير أفكار وبسط رؤى فيها شيء من العمق والإصابة والبيان في شتى فنون المعارف وفروع العلوم، ومنها علم الترجمة، فتولد ما سمي بنقد الترجمة. ونريد به المعنى الواسع والشامل لتصحيح الخطأ اللفظي والمعنوي والتركيبى وتقويم فعل الترجمة وتتبع نقائص الفعل الترجمي وسلبياته وحصر إيجابياته في الشكل والمضمون وتهذيب أبعاده وإظهار مقاصده البناءة والشريفة.

### مراجعة مفاهيم قواعد الترجمة:

- ومن ذلك مفهوم الموضوعية والذاتية والقناعة الفكرية لمنشئ النص ومترجمه.
- مراجعة الضوابط والشروط في ترجمة خطاب القرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة النبوية ومصنفات الفقه الإسلامي.
- فحص المفارقة في الترجمة من النص الأصل والنص الهدف، أي من العربية إلى الفرنسية ومن الفرنسية إلى العربية.
- غياب القواعد الثابتة والجامعة في الفعل الترجمي.
- هيمنة سلطان الذاتية في العملية الترجمية.

### هل يلتقي نقد الترجمة ونقد الأدب؟

يلتقيان في كونهما لغة بين مرسل ومرسل إليه، ويفترقان في أساس قيامهما، كون الترجمة تقوم على الموضوعية والأدب يقوم على الذاتية، وكون الترجمة تمثل نصا محدودا ومغلقا، وكون الأدب نصا مفتوحا على قراءات واتجاهات غير محدودة.

### بين نقد الترجمة ونقد الأدب:

يمكننا اعتبار الجهد النقدي على الفعل الترجمي ملزما بما يلي على الترتيب التالي:

- تصحيح أخطاء حقيقية إفرادا وتركيبا.
- تصويب وتوجيه نحو الخط الأسلم.
- تقويم فرضه الراهن الجديد تبعا للتطور السريع.
- استنطاق الفعل الترجمي في سلامته وجماليته وحسناته ونسبة إصابته.
- الكشف عن زيف الترجمة وخبائنها خصوصا مع النص المقدس تبعا لديمومة استهدافه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>3</sup>.
- سبيل لضبط قواعد لفعل نقد الترجمة تنطلق محلية، لتتوسع إلى عالمية.
- النظر في مدى التوافق بين النص والواقع ترجمة ونقدا لها.
- نقد يفيد إعادة ترجمة النص بناء على معطيات جديدة وأفكار من بنات الساعة و الساحة.
- وبحكم أن النص حمال أوجه، فكذاك الترجمة حمالة أوجه، فكذاك نقد الترجمة حمال أوجه.

### ماذا يلزم في نقد الترجمة ؟

لنقد الترجمة ضوابط محددة ودقيقة، أولها الموضوعية والأمانة والنقل العلمي الممحض من دون تصرف بزيادة أو نقص مع النص الأصل.

قد يتقاطع نقد الترجمة مع نقد النصوص في ترشيد ترجمة النص، وفي حدود النص الأصل من دون زيادة أو نقص، أو إضافة أو حذف. وهو يختلف في الآن نفسه مع نقد النص سواء أكان أدبا أو لغة أو تاريخا، أو في كون الناقد يكون أكثر حرية في الفعل النقدي، ويكون النص أكثر انفتاحا على الدلالات والمعاني. وفي النص الأدبي يمكن اعتبار التعليق والتصويب والتحقيق والتفسير و... نقدا أدبيا، إلا أن نقد الترجمة لا يقبل مثل هذه الإضافات المتنوعة، لأنه فعل محدود بالنص الأصل. ثم إن خصوصية الترجمة على باقي الأفعال المعرفية أنها تطلب الانضباط وعدم الخروج عن مقصود النص الأصل. كما تفرض

على المترجم الموضوعية مع الاجتهاد في فهم أحوال وظروف دفعت صاحب النص إلى صناعته. إن تغييب صاحب النص عن الفعل الترجمي قد يصعب نجاح الفعل الترجمي، ويثير النقد إلى العلن.

وفي الإطار العام فإن للنقد كفعل أدبي سببا وكيفية وغاية. أما السبب، فيكمن في التطور والتوسع والكشف العلمي. أما الغاية، فتتحدد في تصحيح الخطأ وتقويم الفهم و إنصاف النص ترجمة. أما الكيفية فتحصل في اعتماد المعاني في نقد الترجمة، وعدم إهمال الصيغة اللفظية في الفعل النقدي، وإدراك حقيقة الأساليب ومواقعها ومراميها كما هي في الاستعمال الأصلي سواء عند العرب أم عند الغرب، وفي عدم إبعاد صاحب النص وظروفه عن النقد الترجمي. ونرى أن الموضوعية قد تستقى من النص و سياقه وصاحبه معا ومن دون مفاصلة، وأن الفهم الصحيح للنص الذي يبدأ قبل الفعل الترجمي يكسب من النص وصاحبه وظروفه. ولعل مما نعتبره من الأخطاء المنهجية في الترجمة إبعاد الصانع وظروفه عن صناعة النص، ظنا منا أنها سلوك من سلوكات الموضوعية، والحقيقة غير ذلك. فكما كتب النص تحت ظروف لزم استثمار الظروف لفعل الترجمة ونقدها معا.

كما أحسب أن من أساسيات دواعي ظهور فعل نقد الترجمة كفن وعلم إبعاد الناص وظروفه عن الفعل الترجمي، مما أنتج ترجمات ضعيفة وهزيلة وغير دقيقة، لا تفي بالمطلوب ولا تحقق الغرض ولا تصيب المقصود.

### هل تتداخل فنون أخرى في فعل نقد الترجمة ؟

نعم لأن الترجمة هي فعل لغوي بالدرجة الأولى قبل الترجمة، والفعل اللغوي هو دوما حامل لجملية فنون تعمل معا في الآن لصناعته، منها الصوتيات والصرفيات والنحويات والبلاغيات والنفسيات والاجتماعيات والتاريخيات والأدبيات والداليات... الخ، بحيث لا يمكن فصل أي جزء من هذا الكل المركب بحكمة الحكيم. فكل من فعل الترجمة وفعل نقد الترجمة يبني على هذا الكل المتداخل والمركب بحكمة. فكما يلزم المترجم ضلوع في هذه الفنون كلها، كذلك يلزم الناقد

الإحاطة بهذه الفنون كلها بشيء من العمق والفقہ أكثر من المترجم، لأنه في موضع الناقد لفعل المترجم. ولا ينقد إلا من كان أدري وأعلم وأفقہ. يقول الدكتور يوسف: وإنما يترجم نصا تتكامل مكوناته اللغوية وغير اللغوية، وتتداخل، بحيث يكون كلا لا تتفصل أجزاؤه، ينبغي نقل معانيه إلى لغة الترجمة نقلا كاملا، يلتزم فيه المترجم بقواعد اللغة المنقول إليها في النحو وفي الصرف وفي التراكيب، ولا يهمل جوانبه البلاغية والأسلوبية ولا قواعد الصياغة المألوفة فيه<sup>4</sup>.

وقريب من هذا المعنى قال الجاحظ: (لكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها فلم تلتزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة<sup>5</sup>. لذا فلا يترجم الشعر مثلا إلا شاعر ولا ينقل الأدب إلا أديب)<sup>6</sup>

### كيف نفسر ظاهرة تعدد الترجمات للنص الواحد ؟

- قد يحصل ذلك لواحد من الأمرين أو كليهما، وهما:
- غياب قواعد الترجمة الثابتة والمجمع عليها، بحيث يبني عليها المترجم فعله الترجمي. فغياب القواعد يفرض حتما هذا التعدد في الترجمات للنص الواحد.
  - اختلاف مشارب المترجمين وتباين نواياهم وتفاوت محصولهم المعرفي والإدراكي وتمايز خبراتهم في الفعل الترجمي.

وأذكر من هذه القواعد:

- التحلي بموضوعية النقل وأمانة الفعل.
- النص الأصل هو نص زائد ناص زائد ظروف (سياق الحال).
- قراءة الفعل الترجمي على ثلاث النص والناص وسياق الحال .
- .. إن الضيم الذي نجده عبر الترجمة، واستحالتها، ولا يمكننا أن نعتبر هذه الأفعال ترجمة إذا كان المقصود منها النقل الأمين، بل هو كما نعتقد إبداعا جديدا، لأن التمكن من اللغات لا يعني التمكن من ظروف المقامات المختلفة بما تحمله من أبعاد معرفية وملايسات ثقافية<sup>7</sup> وفي السياق الإبداعي هذا فقد جاءت إشارة إمام البلاغة العربية عبد القاهر

الجرجاني منذ قرون في مقولته: فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء.<sup>8</sup>  
- حسن فهم النص المنقول. فالنقل من العربية مثلاً إنما تكمن صعوبته في فهم النص المنقول، وليس في إعادة صياغته. وإذا كانت الصعوبات التي تعترض إعادة الصياغة صعوبات بلاغية بالأساس، فإن مشاكل الفهم تؤدي إلى انزياحات في التعبير الناقل قد تذهب تماماً بمعنى التعبير المنقول.<sup>9</sup>

### التناص في نقد الترجمة:

كما يحصل التناص في كل صناعة أدبية أو لغوية أو ترجمية فكذلك يحصل أمرها في فعل نقد الترجمة. والتناص ظاهرة طبيعية وصحية في كل منطوق ومكتوب من الكلام، حيث تتقاطع أفكار ونصوص لأداء أغراض متباينة، وهي تتجه إلى توظيف مقاطع نصوص في غاية معرفية محددة. ومن جهة المتكلم أو الكاتب هي استناد على نصوص ومقاطع ومعاني وألفاظ لتوصيل غرض معرفي محدد. وقد تفهم في فضاء تلاقي الأفكار، حيث يستأنس اللاحق بأفكار السابق لتبليغ الغرض إلى السامع والمتلقي. وقد لا يوجد ناص ولا ناقد نص استوحى فعله العلمي من نبات أفكاره وحده، بل حتى قاموسنا المعرفي والعلمي الذي هو ملكة كل مترجم وناقد هو بذاته مشوب بتناصات متلونة كثيرة.

وأكثر من هذا فإن فعل الإنسان وسلوكه وعاداته وتقاليدته كلها مشوبة بتناصات متنوعة منها السلوكية والأدبية والأخلاقية والمقولية والمعرفية وغيرها. لذا فلا مناص من التناص في فن نقد الترجمة.

### في ترجمة معاني القرآن الكريم:

قد لا أستغرب إن قلت: إن معاني القرآن الكريم موقوفة على أسرار لا تنتهي، يفتحها الله تعالى على أجيال من الناس في كل زمان. ولكل جيل منها نصيب. وهذه سمة من سمات إعجازه الظاهرة. وأن القرآن متجدد دائماً لا يخلق من كثرة الرد، ولا يمل منه الناس، وتشبع منه العلماء، خيره لا ينفد وعطاؤه غير مجذوذ، لذلك تعددت تفاسيره



وتنوعت تأويلاته على خط الزمان ولا تزال على ذلك التنوع والتعدد سنة من الله لا تبغي التبديل ولا التحويل.

قد نسرد هذا كله لنذهب إلى القول بأن ترجمة القرآن الكريم هي جامعة بين الثابت والمتحرك، تبعاً لطبيعة آياته المصرح بها في دائرتي المحكم والمتشابه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>10</sup>.

ولما كانت معانيه تتزايد كشفاً مع الزمن ومع تطور العقل باستمرار، استدعى ذلك عندنا القول بالترجمة المتحركة في دائرة المتشابه والثابتة في دائرة المحكم. ربما قد لا يكون لحكم محكم فيها وفي فن نقد الترجمة نصيب وحظ أوفر، حيث تضيق السبيل إلا على من شذ عن قولة الحق وقال شططا افتراء وبهتاناً. وفي دائرة المتشابه يحدث الأمر عكساً، حيث يجد نقد الترجمة فيه حظه الأوفر وحصته الكبرى بحكم حركة دائرته وتجدها وتوسعها، لأنها حمالة أوجه وقرارات. ويمكن التمثيل بما يلي:

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>11</sup>. فهل نترجمها بحدث الضحك الحقيقي، أم نترجمها بحد الحيض المجازي؟ ومفردة (قروء) الواردة في الآية ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنَنَّ أَنَّ حَقَّ بَرِّدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>12</sup>، فهل نترجمه بالحيض أم نترجمه بالطهر أم بالمدة الزمانية؟

هذا من جهة المفردة والمعنى، أما من جهة الصياغة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْظُرِي إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>13</sup>. كيف نترجم فعل (انبذ) في السياق؟ خصوصاً حين

تصطدم الخصائص بين اللغات والألسن فتتوفر عند بعضها وتتعدم عند بعضها الآخر الذي نود الترجمة إليه. فهل له ما يقابله ترجمة في الأعجميات ؟ والجواب: أكاد أحس جازما أنه لا توجد له ترجمة بالصيغة الإفرادية كما جاء في النص الأصل. الأمر الذي جعل الاجتهاد في ترجمته حاصلا بالصيغة التركيبية، وهذه قد تتفاوت حجما من لغة إلى لغة ومن لسان إلى لسان.

قال أحمد بن فارس: وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنتقل قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الْأَفْظَ الْمُؤَدِّةَ عَنْ الْمَعْنَى الَّذِي أَوْدَعَتْهُ حَتَّى تَبْسُطَ مَجْمُوعَهَا وَتُصَلِّ مَقْطُوعَهَا وَتُظْهِرَ مَسْتَوْرَهَا، فَقُولُوا: إِنْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَوْمٍ هَدَنَةٌ وَعَهْدٌ، فَخَفْتُ مِنْهُمْ خِيَانَةً وَنَقَضُوا، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّكَ قَدْ نَقَضْتَ مَا شَرَطْتَهُ لَهُمْ وَأَذْنَهُمْ بِالْحَرْبِ لِتَكُونَ أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِالنَّقْضِ عَلَى اسْتَوَاءٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلِ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى أَدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾<sup>15</sup>... وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات. ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعي به. والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل.<sup>16</sup>

هذا الأمر يفتح باب نقد الترجمة واسعا وباستمرار. وكل هذا نسوقه ونحن نقر بأنه لا يترجم القرآن أي إنسان بأي كيف كان، ولا يترجم القرآن إلا عالم باللسان العربي المبين، وإلا أخل وأفسد وقصر وألحن، ولا يترجم القرآن أعجمي غير عالم باللسان، بل الأثبت والأجمع والأول هو العلم باللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن أصولا وفروعاً، لأن الأساس في فعل الترجمة هو المسك بناصية

المعنى، ثم الصياغة باللغة المترجم لها. وغياب المعنى يعني غياب الفعل الترجمي ونقده.

### الجزء التطبيقي: نقد الترجمة في المصطلح اللغوي

إن من الصعوبات الكبيرة في ترجمة المصطلح اللغوي، والمثيرة لفن نقد الترجمة على السرعة تباين الأنظار في تحديد مفهوم المصطلح من أمة إلى أمة، فضلا على خصوصية العربية في هذا الجانب وتميزها. ولنا من الأمثلة في (مصطلح اللسان) الذي تكاد تجمع الترجمات على مقابله بمصطلح *Langue*<sup>17</sup>، كما نلفي ترجمة أخرى تقابل اللسان بـ: *Language*، فهذه الترجمة تكشف التداخل والتشابك والاضطراب في حدود المصطلحين. نعم قد يكون الأمر هذا صحيحا نسبيا في لغات أعجمية، لكن أمر العربية يختلف تماما. وهنا لابد من استتطاق مصطلح اللسان قبل ترجمته. والأصل في ذلك أنه حامل لوجهين الأول فيزيولوجي بحت والثاني علمي أكاديمي صرف. والسؤال هنا: بم يمكن ترجمته ؟ وهل يمكن لمصطلح واحد حمل ترجمتين متباينتين ؟ ألا يؤدي ذلك إلى إبهامية وغموض واختلال في التوازن ؟

إنني أطرح المسألة في سياق المفارقة بين المصطلحين اللسان واللغة. هذه الأخيرة التي قد تكون حسمت في اللغات الأجنبية إلى حين، وقد لا تكون حسمت، لكن في العربية - برأينا - لم تحسم بعد.

وهنا أجدني أطرح الهم على علم نقد الترجمة على الشكل

الآتي:

( لسان ) --- جارحة الكلام (جانب فيزيولوجي)  
--- بنية تركيبية يبلغ بها المتكلم السامع مقصوده (الجانب العلمي).

( اللغة ) --- أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

--- عبارة المتكلم عن مقصوده.

ربما لا تطرح المشكلة في هذا المصطلح كونه حاملا وجها واحدا، وترجمته الشائعة هي:

Language<sup>18</sup> لكن الملفت للنظر هو الخروج السريع من Language إلى ترجمة أخرى، وذلك حين تترجم مصطلح (لغة الأم) أو (لغة أساسية) أو (لغة أجنبية) أو (لغة المصدر) أو (لغة مشتركة) وغيرها من مثل هذه المصطلحات المركبة، فإنك تقول:

(language source), (langue étrangère), (langue de base), (langue maternelle), (langue commune).

كما نجد جمعا من المصطلحات العربية وضعت لتقابل مصطلح Didactique، وهو مصطلح يعود إلى المصطلح الإغريقي Didaktikos الذي يقابل مصطلح التعليمية العامة التي تدرس الخصائص الأساسية لعمليات التكوين، وتستخلص المبادئ المنهجية التي ينبغي أن يركز عليها كل تعليم للفروع الخاصة<sup>19</sup>. والذي يلاحظ عليه تعدد الترجمات المختلفة مع الاضطراب في الضبط الاصطلاحي، كما نبينه في الشكل التالي:

(الديداكتيك) كمصطلح فرنسي يقابل بالمصطلحات العربية التالية: تعليمية، وتعليميات، وعلم التدريس، وعلم التعليم، والتدريسية.

وفي منظور الغربيين، فإن مصطلح (الديداكتيك) يراد به العلم الإجرائي الذي يعني بالعملية التعليمية من حيث الأسس النظرية، والمحتويات وعقبتها بالمعارف المرجعية، وانتخاب المعارف الواجب تدريسها، ومعرفة طبيعتها وتنظيمها، والنظر في المناهج التعليمية، وفي طرائق التدريس والتقويم، وفي العلاقات القائمة بين عناصر العملية التعليمية<sup>20</sup>.

وهكذا، والأمثلة من القاموس في شأن هذا التداخل كثيرة. فهل هذا يعني هذا أن لمصطلح لغة ترجمتين، وإذا حصل هذا، فقد يكون سلب منه ترجمة مصطلح لسان، وهذا ما يجعلنا في حيرة من أمرنا، ويرغمنا على طرح السؤال التالي:

## هل اللسان هو اللغة ؟

وهنا ليس لدينا من يفك هذا اللغز السهل الممتنع ويفصل في هذه المسألة الخفيفة الثقيلة غير القضاء الحكيم الذي هو علم نقد الترجمة مع قاضيه العادل الناقد المترجم بمواصفاته اللازمة.

ويمكننا أن نجد الإشكال في تعدد الترجمات للمصطلح الواحد كما هو الأمر في مصطلح (اللسانيات) الذي بلغت المصطلحات المترجمة له ما يقارب ثلاث وعشرين مصطلحاً، منها: علم اللغة، وعلم اللسان، واللغويات، وعلم اللغويات الحديث، والدراسات اللغوية الحديثة، وعلم اللغة العام، وعلم اللغة العام الحديث، والألسنية، والألسنيات، واللسنيات وغيرها.<sup>21</sup>

كما يمكنك أن تضع هذه الظاهرة ضمن ظاهرة تعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد، ولكن هذا لا يبتعد عن الفعل الترجمي. ومن الأمثلة في هذا السياق مصطلح *signe* الذي نجد له عدة ترجمات منها: علامة وإشارة ودليل. وترجمة مصطلح *phrase* بركن وركينة وتكوينة وتركيب ومركب. وترجمة مصطلح *discours* بحديث وقول وخطاب وكلام.<sup>22</sup>

وحين دخل مصطلح (الفونتيك) الدرس اللغوي الحديث وجدنا من الباحثين اللغويين من أبقاءه دخيلاً فترجمه: بـ: (فونتيك) دون تعريب. وغالباً ما كان يقرن بكتابتة بإحدى اللغتين الإنكليزية مع شرح لمدلوله بالعربية.<sup>23</sup> كما ترجم إلى (علم الصوت)<sup>24</sup> و(منهج الأصوات)<sup>25</sup> و(علم الأصوات العام)<sup>26</sup> و(علم الأصوات)<sup>27</sup> و(علم الأصوات اللغوية)<sup>28</sup> و(الصوتيات)<sup>29</sup> و(الصوتية)<sup>30</sup> ... وغيرها. وهذا الأمر بالذات طرح المشكلة من جهتين، الجهة المصطلحية، وهذه لا تقل شأنًا عن المشكلة الترجمية بحكم أن المصطلح هو مفتاح العلوم. والثانية هي الجهة الترجمية التي تفرض بهذه الصورة غير الدقيقة الاضطراب والتذبذب والاستقرار الذي لا يخدم علم الترجمة بالخصوص، مما يفتح المجال للنقد الترجمة لفرض حكمه تقييماً وتقويماً.<sup>31</sup>

## الترجمة والحد والفهم والخصوصية:

إن صحيح الترجمة هو من صحيح الحد وصحيح الفهم وصحيح الخصوصية. وخصوصية اللسان العربي أظهر في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ أَدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.<sup>32</sup> وفي سياق خصوصية مصطلح (لسان) في اللسان العربي نذكر أن المعجميين العرب القدامى كانت نظرتهم إليه أميل إلى الجانب الفيزيولوجي عن غيرها. فهذا العالم اللغوي أحمد بن فارس في معجمه مقاييس اللغة يعرفه: بطول لطيف غير بائن في عضو، أو غيره من ذلك اللسان. وذاك العلامة ابن منظور في لسان العرب يصفه بجراحة الكلام. وهو الجزء الأساسي المعمول عليه في الدراسات الصوتية، ووظيفته صوتية وإليه تنسب اللغة.

وقد جاء ذكر اللسان في مواطن كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>33</sup>، وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾<sup>34</sup>، وهو يعني في الأول اللغة، وفي الثاني الجراحة. غير أن هذا الثاني - برأينا - قد يحمل مدلوله أيضا معنى المنطوق.

## لماذا لصق المعنيان باللسان ؟

ونرى أنه لا يوجد عضو من أعضاء الإنسان حمل معنيين لاصقين معا أحدهما فيزيولوجي والآخر علمي (فيزيائي) إلا مصطلح (لسان). فالأذن عضو استقبال، والوظيفة السمع، والعين عضو البصر والوظيفة الرؤية، فالأول فيزيولوجي والثاني فيزيائي علمي. وقد تلاحظ التمايز واضحا بين العضو ووظيفته، إذ العقل يطلب لكل مصطلحه.

ربما تفرد اللسان بهذه الخاصية لأسباب منها:

- لأن العضو هو أشرف، فيه ميز الإنسان على الحيوان، فلذلك جاء التركيز على نقطة التميز والتفرد، وهي الكلام، لذلك غلب التعريف، وعم في هذه النقطة بالذات.

فللحيوان لسان جراحة، لكنه لا يتكلم، ولا يلسن، ولا يبين. وعالية يمكن القول إن اللسان فيزيولوجيا جراحة (عضو)، وعلميا

(فيزيائيا) بنية تركيبية يصل بها الخطاب إلى السامع. أما اللغة في عرف العربية، فهي مادة البنية التركيبية، أما الصوت فمادته الأولية الذي تنتسج منه مادة البنية إفرادا. وحين نتصفح أهم المعاجم اللغوية كالمقاييس والصحاح ولسان العرب نجدها تصرح بالاتفاق بهذه الجملة: (واللسان الجارحة واللسن الفصاحة). وهذا يقودني إلى التخريج التالي:

ربما لتقارب اللفظين حمل المصطلح المعنيين، وربما لما كان لا كلام إلا بلسان، حمل المصطلح المعنيين. وربما لما كان الأهم في الإنسان اللسان، وكان الأهم في اللسان الكلام الذي خص به الإنسان وتفرّد وميز به عن الحيوان، غلب الأهم على المهم. وعلى إثره رجح التعريف اللغوي على غيره. كما أن ميزة اللسان كونه من الأجزاء المتحركة، وهو عضو مرّن يقوم بتكييف الصوت اللغوي، وكونه يتغير من وضع إلى وضع، وكونه دائم الحركة في كل اتجاه، جعلت هذا التمييز في جمع لفظه للمعنيين معا في آن واحد. كأنك تقول وتردد بيقين ألا بنية تركيبية مسموعة إلا بجارحة منطوقة

#### رأينا بين اللسان واللغة في مفهوم اللسان العربي المبين:

اللسان يخص المنشأ ويحمل البيئة والثقافة والمعتقد والسلوك والتقاليد والعادات وغيرها مما تجمعها كلمة حضارة الواسعة. وللإنسان لسان واحد بالمعنيين، لأنه مرتبط بالنشأة الواحدة. هذه التي جاءت إشارتها في بيان النبوة، وهذا الذي شفّعه عبد الرحمان بن خلدون في كتابه المقدمة، وأشارت إليه حكمة الشاعر في قوله:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا \*\*\*\*\* على ما كان عوده أبوه

لذا لا يمكن تكلم لسان دون ثقافة بيئته وأهله. وكل ما جاء بعد لسان المنشأ يتعلمه الإنسان، ويلقنه، فهو في درج لغة. وهي أصوات ومفردات في تراكيب يبلغ بها القوم بعضهم بعضا أغراضهم. وهي الوظيفة الأساسية في جميع اللغات. ولدى الفرد لسان واحد وعدد من اللغات. ولكل أمة لسانها الواحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>35</sup>. وعليه يكون الفرد قائما على معادلة لسانية لغوية هي: أحادية اللسان

وتعددية اللغات. لذا يمكن أن نستخدم عليها بمعادلة (لسغوية). فاللسان محدود واللغات مفتوحة. كما يمكن أن نقرأ المفارقة الدلالية لمفردة (لسان) في القرآن الآتي:

إذا ذكر (اللسان) وحده مفردا في القرآن دل على العضو وعلى الجارحة، فإذا ما اتبع بصفة أو غيرها دل على بنية الكلام من أصوات ومفردات وعلاقات. كأن تقول: اللسان العربي واللسان الأعجمي، فكل من العربي والأعجمي هما صفتان للسان. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾<sup>36</sup>، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمَهُمُ الْقَوْلَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>37</sup>، أو وقع في حال إضافة، كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ﴾<sup>38</sup>، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لِّدَارٍ﴾<sup>39</sup>، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>40</sup>. وهذه الصور الثلاث هي دالة على معنى بنية الكلام من أصوات ومفردات وعلاقات. والسياق يقوي هذا الرأي خصوصا في آيتي مريم وإبراهيم عليهما السلام. أما آية القيامة فقد وردت فيها مفردة (اللسان) مضافة إلى كاف المخاطبة، لذا أرى أنه حامل لمعنى بنية الكلام بحركة اللسان، لأن اللسان لا يتحرك إلا ببنية كلام صوتا ومفردة وتركيبا.

فالسامات لسان فيزيولوجي (جارحة)، والمتحرك لسان فيزيائي (كلام). والأصل في الألسن الاختلاف، مثلها كمثل الألوان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>41</sup>. والألسن جميعها تشترك في المستويات الثلاثة الصوت والمفردة والتركيب. أما القاعدة التي تبنى عليها الألسن في المستوى الصوتي فهي التشابه، أما القاعدة التي تبنى عليها في المستوى الإفرادي فهي الاختلاف والتشابه، أما القاعدة التي تبنى عليها في المستوى التركيبي فهي الاختلاف، أي لكل لسان بنيته التركيبية المميزة. ومن هنا علمت بعمق ودقة حكمة قوله تعالى اختلاف ألسنتكم. كما نبهت فيك فكرة توظيف مفردة (لسان) في القرآن الكريم



دون مصطلح (لغة). كما بان لك بجلاء الفروق بينها. ولعلها قد تكون سمة من سمات الإعجاز المصطلح في القرآن الكريم.

#### الخاتمة:

وبعد، فهذه رؤية حرصت على تجلية أهمية فن نقد الترجمة، بل ضروريته لإقامة ميزان إنصاف الفعل الترجمي حتى لا يزيد الانحراف انحرافاً، مع الاجتهاد في بسط مجموعة قواعد ضابطة وموحدة لجهود المترجمين. وانتهت إلى الاعتراف بوجود شبه اضطراب في شتى الأعمال الترجمية لغوية وأدبية وغيرها، واقتنعت بضرورة مراجعة الكثير من الظواهر اللغوية الخاصة بإشكالية المصطلح وترجمته، بغية تنقية الطريق وتسويته للوصول إلى فعل ترجمي وزين ودقيق. كما اجتهدت في بسط قراءة نقدية لغوية منطلقة من خصائص اللسان العربي المبين تفحص دلالة مصطلحي اللسان واللغة، لتقرز في آخر المطاف الفروق الدقيقة بينهما، لتزيل بعضاً من الغموض والاضطراب والتداخل بينهما، مقرة في النهاية بدقة التوظيف القرآني وسداد استعماله لمفردة اللسان على اللغة، الذي قد يفتح باباً يمكن تسميته بالإعجاز المصطلحي، ليكون مشروع بحث ثقیل وخطير للعلماء وأهل التخصص.

#### مدونة البحث:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط1، دار الخير - دار القرآن الكريم - 2002.

#### الهوامش

\* مداخلة تم إلقاؤها بمناسبة انعقاد الملتقى الدولي الثالث عشر حول "إستراتيجية الترجمة: نقد الترجمات" الذي نظمه مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، أيام 12، 13 و 14 ماي 2013.

- 1- المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص7.
- 2- المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص13.

- 3- سورة البقرة، الآية 217.
- 4- يوسف إلياس، ترجمة النصوص الإخبارية، نقلا عن مجلة المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص33.
- 5- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، ج3، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، ص368.
- 6- شحاتة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريف، ص37، نقلا عن مجلة المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص66.
- 7- المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص6.
- 8- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، ص284.
- 9- عبد الهادي الإدريسي، هل قرأ الفرنسيون نجيب محفوظ ؟ المترجم، العدد1، يناير- جوان 2001، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن بجامعة وهران1، ص13.
- 10- سورة آل عمران، الآية 7.
- 11- سورة هود، الآية 71.
- 12- سورة البقرة، الآية 228.
- 13- سورة الأنفال، الآية 58.
- 14- سورة الأنفال، الآية 58.
- 15- سورة الكهف، الآية 11.
- 16- أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1993، ص45-46.

- 17- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات عربي- فرنسي، الدار العربية للكتاب، ص155.
- 18- المرجع نفسه، ص155.
- 19- مسعود بن دادون، تعليمية العربية لغير الناطقين بها، على شبكة الانترنت، الواقع والأفاق، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2012-2013، ص 237.
- 20- المرجع نفسه، ص238.
- 21- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات عربي- فرنسي، ص72.
- 22- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، منشورات بيروت، ط 1، 1986، ص400-401.
- 23- عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص7، وانظر إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص4.
- 24- عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص7، وانظر إدوار رونالد، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، ص25، عن المجلة العالمية للترجمة الحديثة، ع 1، جامعة منتوري 2004.
- 25- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط1، 1955، ص67.
- 26- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ص7.
- 27- محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، المكتبة الثقافية، العدد 249، ص28.
- 28- محمود السعران، علم اللغة، دار المعارف، مصر، 1962، ص201.
- 29- كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص214 وانظر عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص195.
- 30- يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، ص121.

- 31- إشكالية المصطلح، المصطلح اللساني أنموذجا، المجلة العالمية للترجمة، ع 1، جامعة منتوري، 2004، ص64.
- 32- سورة النحل، الآية 103.
- 33- سورة النحل، الآية 103.
- 34- سورة القيامة، الآية 16.
- 35- سورة النحل، الآية 103.
- 36- سورة البلد، الأيتان 8-9.
- 37- سورة النحل، الآية 103.
- 38- سورة القيامة، الآية 16.
- 39- سورة مريم، الآية 97.
- 40- سورة إبراهيم، الآية 4.
- 41- سورة الروم، الآية 22.